أسباب ستر المرأة وسفورها فی شعر العصر الجاهلی

سیدحیدر الشیرازی*

الملخص

إنّ لِستر المرأة العربیة وحجابها وعفافها أهمیة بالغة اکترث بها الثقافة الجاهلیة وتناولها الشعراء وصفاً ومدحاً وفخراً لأنفسهم. وکان لهذا التستّر والعفاف دلالات فطریة ولفظیة ذکرناها فی هذه الوجیزة. ولکن المرأة فی العصر الجاهلی کما کانت متسترة، کانت سافرة ولسفورها دواعٍ مختلفة نشأ معظمها متأثراً بالأفکار والتقالید الجاهلیة فدراسة أسباب السفور موضوع آخر نوقش فی هذا المقال من خلال الأدب الشعری فی هذا العصر وکان من أهم تلک الأسباب: الحزن والمصیبة والخوف من السبی فی الحروب وإبراز الحسن والمحبة وداعیة الفقر والمسکنة.

الکلمات الدلیلیة: المرأة، الستر، العفاف، السفور.

*. أستاذ مساعد بجامعة الخلیج الفارسی بوشهر (استادیار دانشگاه خلیج فارس بوشهر).

تاریخ الوصول: ۱۳۸۸/۲/۱۹هـ. ش　　تاریخ القبول: ۱۳۸۸/۵/۲۲هـ. ش

المقدمة

إنّ بإلقاء نظرة عابرة وسريعة على ما دوّنت فى الكتب الأدبية نجد الدراسات الشعرية فى ستر المرأة متكاثرة كما فى سفورها وذلك بفارق وهو أنّها متناثرة فى معظمها وغير منتظمة ومبوّبة، اللّهم إلا فيما وجدنا لبعض الدارسين كالحوفى فى كتابه «المرأة فى الشعر الجاهلى» حيث أفرد فيه فصلاً للمرأة السافرة والمحتجبة أو ما رأينا فى مؤلّفات أخرى نوقش فيها زىّ المرأة ولباسها وحليُّها. وما إلى ذلك فى البحوث المنطرحة فى فن الرثاء. والذى دعانا إلى الخوض فى مثل هذا البحث هو عدم وجدان ضالّتنا المنشودة فى تلك المباحث. فارتأينا أن نقوم بدراسة متعمّقة أكثر فاهتدينا إلى هذه الأسباب المتواجدة لدينا الآن.

مما يلفت النظر أنّه لم تكن النساء العربيّات كلّهن سوافر كما لم تكن كلّهن محجّبات والأهمّ من ذلك إن السفور كان من عوامله الأجواء الثقافيّة الخاصة أو الظروف الإقتصادية الصعبة أو الفتن والحروب المفروضة المذلّلة للمرأة، هذه هى التى قمنا بدراستها فى الأدب الشعرى وتركنا دراستها النفسيّة لأهلها.

إنّ المتتبّع لأخبار ما يتعلّق بسفور المرأة أو سترها قد يجد أن الأخبار الواردة فى تستّر المرأة العربية موفورة كوفرة أخبار سفورها، لكن السفور خلافاً للفطرة السليمة العفيفة التى أودع بها وجبل عليها الإنسان، كان لها من دواعٍ مختلفة نشأ معظمها متأثراً بالآداب والتقاليد البالية الجاهلية. ولما بعث النبى (ص) جاء بثقافة إسلامية متوقّية ومتحذّرة بكثير من تلكم الفتن التى كانت تثار من قبل المرأة بسفورها وتبرّجها.

المرأة الجاهلية وأسباب سفورها

١. الجزع عند الحزن والمصيبة

كانت المرأة الجاهلية تختلف عند المناحة عن غيرها فكانت حتى المحجبات منها تسفر لأن المصيبة المفجعة والنياحة المؤلمة تنحرف بالمرأة عن استمرارها بالحفاظ على التستر والاختباء فهى كأنها ينفد اصطبارها فتفقد توازنها وطمئنتها لعواطفها الجياشة

وأحاسيسها الغلابة فعندئذٍ رغماً على غيرة العرب كان يسمح لها شيء من السفور رعاية لأنوثتها وتفتّت أعصابها وحالتها المشجية، كما كان يجوز لها الخمش واللطم جزعاً منها على فقيدها وهذا ما كان يعتبر لديهم نوع من الحداد. يدل على ذلك كثير مما أنشده الشعراء فى وصف سفورها لدى المصائب، وذلك عندهم من علامات الحزن الشديد حيث تذهل المرأة المصابة فتفقد سيطرتها على نفسها فتنسى كرامتها وصونها. وفيه قول المهلهل فى رثاء كليب إنهم كانوا يغارون على نسائهم أن يبرزن من خدورهنّ، فلما قتل كليب خرجن حواسر عواطل من حليهن:

كنا نغار على العواتق أن تُرى ... بالأمس خارجة عن الأوطان
فخرجن حين ثوى كليب حُسّراً ... مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا ... إذ حان مصرعه من الأكفان
يخمشن من أدم الوجوه حواسراً ... من بعده ويعدن بالأزمان

(ابن الأثير، ١٩٦٦م، ج١: ٥٣٠)

وفى موضع آخر يضيف كشف الذراع إلى جانب الوجه للحرة عند البكاء والجزع من دون أن يأخذها باللوم قائلاً:

وإذا تشاء رأيت وجهاً واضحاً ... وذراع باكية عليها برنُس
تبكى عليك ولستُ بلائم حُرة ... تأسى عليك بعبرة وتنفّس

(الحوفى، ١٩٨٠م: ٣٧٣)

وكان من عادة الجاهليين عند البكاء على الميت شقّ الجيوب وكان يقال للتى تشق جيبها «الشاقة» (الشورى، ١٩٨٣م: ١٦٠). وحتى أن الرجل منهم كان من دأبه أن يوصى بذلك. وهذه عقلية جاهلية كان يؤمن بها أصحابها كطرفة الشاعر فهو يعتبر اللطم وشق الجيوب للفقيد احتراماً وإكراماً له فلذلك يوصى أهله بشق الجيب خاصة أنّه يعتبر نفسه مستحقاً للندبة والجزع إذ أن له رفعة ليست لغيره وهو ينفع ما لا ينفع سواه وقد شهد معارك لم يشهدها مثيله. يقول طرفة بن عبد فى وصية له لابنة أخيه:

فإن متّ فانعَينى بما أنا أهله ... وشقّى علىّ الجيبَ يا ابنةَ معبَدِ

ولا تجعلینی کامرئٍ لیسَ همّه — کهمّی ولا یغنی غنائی ومشهدی

(الحسینی الکاشانی، ۱۴۰۰ق ،ج۱: ۲۶۹؛ البستانی، لاتا، ج۱: ۶۶)

هذا وقد یتغیرتستر المرأة فی مثل هذه الظروف المؤلمة الحزینة فهی بدلاً من لبس الملابس ذات الألوان الزاهیة، قد تقتصر علی ملابس الحزن. کما کان یتوقع صخر من أختها خنساء ذلک أی تمزیق الخمار ولبس الحداد ـ وهو الصدار[۱] ـ فیما یتحدث عنها قبل موته: (نجیب عطوی،۱۹۹۳م: ۶۲)

واللهِ لا أمنحُها شِرارَها — ولو هلکتُ مزَّقَت خِمارَها

وجعلت من شَعَرٍ صِدارَها

یستشف لنا باستعراض هذه الأشعار وما سنوافیه بکم فیما بعد بأن المرأة الجاهلیة کانت ملتزمة التزاماً کاملاً أو نسبیاً بنوع من الستر لا یمکن إنکاره. فالحالة العامّة لدیهم أن المرأة کانت محجبة إلا فی مثل هذه الظروف الصعبة المکرهة المفضیة بها إلی البروز من الخدور والکشف عن الستر والقناع والنقاب، وفی مثله قول الشاعر یخاطب حبیبته فی شعره مشیراً فیه إلی بروزها عن الخباء والکشف عن نقابها لما اعتراها من الحزن المؤلم عند الفراق قائلاً:

ولما تبدّت للرحیل جمالنا — وجدّ بنا سیر وفاضت مدامع

تبدّت لنا مذعورة من خبائها — وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع

أشارت بأطراف البنان وودّعت — وأومت بعینیها متی أنت راجع

فقلت لها والله ما من مسافر یسیر — ویدری ما به الله صانع

فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها — فسالت من الطرف الکحیل مدامع

(الأبشیهی، ۱۹۸۶م، ج۲: ۸۸)

ولبید له أبیات من الشعر یلمح فیها إلی تخدّر المرأة وتسترها، لکنها عند المصیبة وذرف الدموع الغزیرة تفقد صوابها وتخرج من خدرها وتقوم بلطم الوجه والعویل

---

۱. الصدار بکسر الصاد: ثوب رأسه کالمقنعة، وأسفله یغشی الصدر والمنکبین تلبسه المرأة، وکانت المرأة الثکلی إذا فقدت حمیمها فأحدت علیه لبست صداراً من صوف.

فيقول:

فلم أرَ يوماً كان أكثَر باكياً / وحسناء قامت عن طِرافٍ مُجوّرِ
تبلّ خموش الوجه كلُّ كريمةٍ / عَوانٍ وبِكرٍ تحتَ قَرٍّ مَخدَّرِ[1]

(البستانی، لاتا، ج۱: ۱۱۸)

وقد صرح الربيع بن زياد العبسی فی شعره بعد مقتل مالک بن زهير بأن المرأة الجاهلية الحرة متحجبة من غير وقت العزاء والمصيبة وأنها بعد أن أخرت البكاء لأخذ الثأر تخرج حاسرة لإقامة العزاء وفيه قال الشاعر:

من كان مسرورًا بمقتل مالک / فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرًا يندبنه / يلطمن أوجههن بالأسحار
قد كن يخبأن الوجوه تسترًا / فاليوم حين برزن للنظار
يضربن حُرّ وجوهنّ على فتىً / عفّ الشمائل طيب الأخبار

(الإصفهانی، لاتا، ج۱۷: ۱۸۱)

وقال مهلهل يرثی كليباً ملمّحاً بالبروز من الخدور بعد الفاجعة:

على أن ليس عدلا من كليب / إذا برزت مخبّأة الخدور

(السيد المرتضی، ۱۹۰۷ م، ج۲: ۱۳۲؛ الاصفهانی، لاتا، ج۵: ۵۸)

ومثله قول ليلى بن طريف فی رثاء أخيها الوليد:

بكت تغلبُ الغلباء يوم وفاته / وأُبرِزَ منها كلُّ ذات نصيف

(الحوفی، ۱۹۸۰م : ۶۶۸)

واستمر هذا العرف عند البعض بعد ظهور الإسلام قال أبو ذؤيب الهذلی فی توقعه ما تفعل بنته بعد موته من ضرب صدورهن حواسراً بالنعال:

وقام بناتی بالنعال حواسراً / وألصقن وقعَ السِّبتِ[2] تحت القلائد

(الحوفی، ۱۹۸۰م : ۳۰۸)

۱. الطِراف: الخيمة من أدَم. مَجوَّر: مقوَّض، ساقط. تبلّ: أی تبل خدوش الوجه بالدم. العوان: المرأة فی منتصف عمرها. القَرّ: الهودج.المخدّر: المستّر بالثيابة.
۲. السِّبت: النعال المدبوغة بالقرظ.

ولما جاء الإسلام رفض الكثير مما كان يعترف به فی العهد الجاهلی من السفور وخمش الوجوه وشق الجيوب وما إلی ذلک. ورد النهی عنه فی الأحاديث الشريفة، ففی صحيح مسلم روی عن الرسول(ص) أنه: «ليس منا من صلق أو حلق أو خرق» (المتقی الهندی، لاتا، ج١٥: ٦١٠) أی: ليس منا من رفع صوته أو حلق شعره أو شق جيبه عند الموت. وعن أمامة أن رسول الله (ص): «لعن الخامشة وجهها والشاقّة جيبها والداعية بالويل والثبور». (نوری، لاتا، ج٢: ٤٦٧)

فلذلک قد تغيرت العقيدة الجاهلية إلی الإسلامية متأثراً بدين الله وهذا أبو فراس الحمدانی يوصی ابنته قبيل وفاته سنة ٣٥٧هـ أن لا تنوح وتبكی إلا من وراء الستر والحجاب فهو يقول:

أَ بُنيّتی لا تجزعی كل الأنام إلی ذهاب
نوحی علیّ بحسرة من خلف سترک والحجاب

(ابن قيس، ١٩٩٧م، ج١: ١١٣)

٢. إبداء الحسن والزينة

إن المرأة الجاهلية لم تكن ملتزمة بالستر والحجاب وكان لها الحرية فی إبداء الزينة ومشاركتها الرجل فی كثير من أعماله فی رعی الغنم ونضح الماء وفی البيع والابتياع وارتياد الأسواق والحج إلی بيت الله الحرام. قد ذكر الأصمعی: «أن المرأة كانت تلقی خمارها لحسنها وهی علی عفة.» (الحوفی، ١٩٨٠م:٣٧٠) فمن أجل ذلک نزل قوله تعالی: ﴿... وَ لا يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إِلاَّ ماظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلی جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهن...﴾ (النور: ٣١) إن الله تعالی صور الحياة الثقافية الجاهلية فی هذه الآية الكريمة بأن المجتمع الجاهلی كانت السمة السائدة علی بناتها إبداء الزينة إغراءاً للرجال واستمالة لهم. فمن أجل ذلک نری أنّ القرآن الكريم كيف ينهی المرأة من أن تبدی بواطن زينتها للأجانب وتفرض عليها ستر البدن بكيفية لا تجلب أنظار الأجنبی وكل ذلک اتقاءاً لشرّ الفتنة وحذراً من الوقوع فی الحب المفرط. واندفاعاً بذلک نری

الحطيئة بعد الإسلام يبتدع فی وصف الزينة ويعتبر الخمر والمعاطف والأزر كزينة أخرى للمرأة إلى جانب تزينها بالحلی فيقول فی نسيب من هجائه لبنی بجاد:

إلى طفلةِ الأطراف زين جيدها ... مع الحلی والطيب المجاسِدُ والخمر
من البيض كالغزلان والغُرّ كالدّمی ... حسانٍ عليهنّ المعاطفُ و الأزُر

(البستانی، لاتا، ج۲: ۳۸)

كما يبدو أنّ البعض الآخر قد أسرفن فی السفور والتبرج عند الخروج فنهاهنّ الله عن ذلک بقوله الكريم: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَهِلِيَّةِ الْأُولَىَ...﴾ (الأحزاب: ۳۳) والشاهد على ذلک كثير فی أشعار الغزليين الجاهليين والأمويين خاصة أنّ المرأة الجاهلية كانت تزهو بحسنها وجمالها وتعتبر الشعر تكريماً لها أو لأتراب لها، لا يسبقنها فی الحسن والجمال وهی ترجو أن يتسابق فی وصفها الشعراء ويتغنوا باسمها ما يجعلها رفيعة الشأن، ذائعة الصيت. من ذلک أن خرقاء العامرية ـ على سبيل المثال ـ كانت فی طريق الحاج وكان جمهرة من الشعراء يمرون بها، ويجدون من حسن وفادتها، ما تجد هی من غزلهم، ورقة أشعارهم وكل ذلک من أجل أنها كانت تنكشف لهم وتبدی لهم ماكانت لها من الزينة وعشرة الكلام. ومن هؤلاء ذوالرمة يقول فيها:

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام

(أبورحاب، ۱۹۴۷م: ۲۴)

لكن عمر بن أبی ربيعة من بعد الإسلام كان من أولئک الذين لم يكن يتمتع بذلک دائماً عند أيام الحج لأن من المسلمات من كانت تتستر بوجهها ورأسها سوى الكفين والمعصم وفيه يقول:

لقد عَرَضَت لی بالمحصّب من منی ... لِحَينیَ شمسٌ سُتّرت بيمانِ
بدا لی منها معصمٌ يومَ جمّرَت ... وكفٌّ خضيبٌ زُينت ببنانِ
فواللهِ ما أدری وإنّی حاسبٌ ... بسبعٍ رميتُ الجمرَ أم بثمانِ[1]

(البستانی، لاتا، ج۲: ۳۸)

---

۱. المحصب: اسم الشعب الذی مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنی، سمی بذلک لكثرة الحصباء فيه. الحين: الهلاک. اليمانی: ثوب منسوب إلى اليمن.

وهکذا نجد ابن علس الشاعر الجاهلی أنه کیف یصف سلمی لکشف قناعها إدلالاً بحسنها، وسبیاً لحبیبها، جریاً علی عرف معروف فی القبیلة، حیث قال ابن علس:

أرحلتَ من سلمی بغیر متاع — قبل العطاس ورعتها بوداع
إذ تستبیک بأصلتیٍّ ناعم — قامت لتفتنه بغیر قناع[1]

(السید المرتضی، ۱۹۰۷م، ج۳: ۲۲؛ الشیخ الطوسی، ۱۴۰۹ق، ج۴: ۵۵۶؛ الشیخ الطبرسی، ۱۳۷۹ق، ج۴: ۳۶۷)

أمّا من غیر أیام الحج فلم یکن الشعراء لیغفلوا عن وصف جمال النساء الظاعنات، ووصف حلیهن وکیف یغفلون وهذا وقت الزینة؟ إن المرأة إذا ما سافرت أخذت زینتها؛ لأنها تعلم أن نساء الحی سیرینها حین یودعنها، ولأنها تعلم أنها قد تلقی فی الطریق نساء أخر مرتحلات مثلها، فیوم سفرها یوم زینتها، وتبرجها لهذا کن یسبین بجمالهن وحلیهن وحرکاتهن قلوب الرجال. والمثقب العبدی یصف النساء المرتحلات وهنّ علی المراکب جالسات قد أبدین عیونهنّ من خلال الوصاوص وسترن الجیاد وأجسادهم وأظهرن بعض الزینة المتسربل علی صدورهن. قال المثقب العبدی بعد أن ذکر طرق الرحلة:

وهنّ علی الرجائز واکنات — قواتل کل أشجع مستکین
کغزلان خذلن بذات ضأن — تنوش الدانیات من الغصون
ظهرن بکلة وسدلن أخری — وثقّبن الوصاوص للعیون
وهن علی الظِّلام مطلبات — طویلات الذوائب والقرون
أرین محاسنا وکنن أخری — من الأجیاد والبشر المصون
ومن ذهب یلوح علی تریب — کلون العاج لیس بذی غضون[2]

(البستانی، لاتا، ج۱: ۱۹۸)

---

۱. العطاس: الصبح؛ لتفتنه أی: لتکشفه وتبرزه والسبی: الأسر، وأصلت الجبین: واسعه، والیاء للمبالغة والناعم: اللین الململس.

۲. الرجائز: مراکب النساء. واکنات: مطمئنات. الأشجع: الطویل. خذلن: تخلفن عن صواحبهن وأقمن علی أولادهن. الضأن: السدر البری. تنوش: تتناول. الوصاوص: البراقع الصغار، أراد أنهن حدیثات الأسنان فبراقعهن صغار، وقیل إنه لقب بالمثقب لهذا البیت. الظلام: الظلم.

وقال أبو النجم العجلى:

من كل عجزاء سقوط البرقع ... بلهاء لم تحفظ ولم تضيع[1]

(السيد المرتضى، ١٩٠٧م، ج١: ٣١ و٣٢)

فأراد الشاعر من قوله «سقوط البرقع» أنها تبرز وجهها ولا تستره ثقةً بحسنه وإدلالا بجماله. ومثل قوله «سقوط البرقع» قول الشاعرعمر بن أبى ربيعة:

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت ... وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا[2]

(الاصفهانى، لاتا، ج٨: ١٥٣)

إن التبرج وبالتالى مواجهة النساء البارزات يوقع القلوب فى الحب ويطمعها التمتّع بالنظر أو التلذّذ بالحديث والسماع والوصال، والذى يراجع تاريخ العشاق فى حياتهم سيرى أنه كيف وقعوا فى أحابيل الحيل الشيطانية لأجل عدم التزام المرأة بالستر المناسب والقول المعروف وعدم غض البصر من جانب الرجل.

وقد استدام الزهو بالجمال إلى جانب الإعتداد بالتصون كباعث للمرأة على السفور فى الإسلام، فقد عاتب مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة فى سفورها فقالت: إن الله تبارك وتعالى وَسَمنى بميسم الجمال، فأحببت أن يراه الناس، ويعرفوا فضله عليهم، فما كنت لأستره، والله ما فىّ وصمة يقدر أن يذكرنى بها أحد. (الاصفهانى، لاتا، ج١٠: ٥١)

وفيه تسجيل من الشعراء لمثل هذا الموقف كقول الشماخ:

بها شرق من زعفران وعنبر ... أطارت من الحسن الرّداء المحبّرا

(السيد المرتضى،١٩٠٧م، ج١: ٣٢)

أى رمت بها عنها ثقة بالجمال والكمال. ومثله وهو مليح:

لهونا بمنجول البراقع حقبة ... فما بال دهر لزنا بالوصاوص[3]

فإنه أراد الشاعر «بمنجول البراقع» اللاتى يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه

---

١. قوله «لم تحفظ»: أراد أن استقامة طرائقها تغنى عن حفظها وأنها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدد وموقف، وقوله: «لم تضيع» أراد أنها لم تهمل فى أغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشقى.
٢. وفى بعض النسخ ورد المصرع الأول: «فلما تواقفنا وسلّمتُ أشرقت».
٣. الوصاوص: هى النقب الصغار للبراقع.

الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال: ما بال دهر أحوجنا واضطرنا إلى القباح اللواتی يضيقن عيون براقعهن لقبحهن.

٣. الفقر والجوع

كان من دواعی السفور لدى المرأة الجاهلية معاناتها من الجوع والفقر. حيث إنها إذا تضوّرت جوعاً وانماثت عطشاً تركت العزلة والخفر وخرجت عن احتجابها وحضرت محضرالسوء سداً للجوع وكسباً للرزق. وقد بدت خطورة عملها هذا عند العرب غَيرةً منهم عليها فتفانوا فی الاحتفاظ عليها حرصاً على العرض وخوفاً من الفضيحة.

من الصعاليک هذا عروة بن الورد جمع صفات الصعلكة إلى درجة عالية من الشجاعة، والجود، وكرم النفس، وبعد الهمة والتصوّن عن الفحش حتى روى عن عبد الملک: «من زعم أن حاتماً اسمح الناس فقد ظلم عروة ابن الورد.» (البستانی، لاتا، ج١: ١٩) فعروة كذلک عفيف البصر وعديم النظر إلى من لاتحلّ له ومن شعره:

ولا يستضام، الدهرَ، جاری، ولا أُرىَ — كمن باتَ تسری للصديق عقاربُه

وإن جارتی ألوت رياحٌ ببيتها — تغافلتُ حتى يستُرَ البيتَ جانبُه

وها هو نفسه نراه من جهة ثانية مترفعاً عن دنس الريبة لحليلته ومغياراً يغار عليها من تهتک سترها والمحضر السیء أی ظهورها بعدم التستر للمسألة والطلب ويقول:

ذرينی أطوّف فی البلاد لعلّنی — أخلّيکِ أو أغنيکِ عن سوءِ مَحضَر

فإن فاز سهمٌ للمنيةِ لم أكُن — جزوعاً وهل عن ذاک من متأخّرِ

وإن فاز سهمی كفّكم عن مقاعِدٍ — لكم خلفَ أدبار البيوتِ ومنظرِ

(البستانی، لاتا، ج١: ٢١)

مما يجدر الانتباه إليه أن عبارة «سوء محضر» و«مقاعد ومنظر خلف أدبار البيوت» يكنى بها عن السؤال والطلب عند الشدة والضيق مما يؤدی إلى الخروج عن الخدور وعدم التستر وهذا ما لا تقبله نفوسهم الأبية الغيورة ودلالة ذلک فی قول لبيد بن ربيعة الذی عاش فی قومه عيشة السادة مقرياً للضيف، منجداً للضعيف ومترفعاً عن التكسب

بالشعر حتى ظهر الإسلام فدخل فيه مع فريق من قومه العامريين فى حدود سنة ٦٣٠م. يذكر سادات قومه المتوفين ويمدح منهم إلى أن يقول:

وبالفورة الحرّابُ ذو الفضل عامرٌ فنعمَ ضياءُ الطارقِ المتنوّرِ
ونعمَ مُناخُ الجارِ حلَّ ببيتهِ إذا ما الكَعابُ أصبحَت لم تَستَّرِ

(البستانى، لاتا، ج١: ١١٨)

شاهد القول فى البيت الثانى فى «إذا ما الكعاب...» فيريد أن يقول إن الجارية الحسناء أصبحت لم تتستّر من الجوع والجهد لأنها تترك التعزل والخفر، إذ ذاك. فهنا يصف جودهم وغيرتهم على حفظ أعراض الجار وهنالك عروة كان يحذر أهله من سوء مثل هذا الحضور الفاضح البشع.

٤. كراهية السبى (الخوف والفزع)

إنّ المرأة كانت تعتزّ بحريتها وتبغض هوانها بالسبى خاصة أنها تبتعد عن وطنها وتفقد أهلها فى الغربة. ففى الحروب كانت المرأة العربية الجاهلية تسفر إذا أيقنت هزيمة قومها وخشيت السبى فتتشبه بالأمة حتى يُزهَد فيها وتتأهب للفرار سافرة، يقول قيس بن الخطيم:

صبحناكمُ شهباءَ يبرُقُ بيضُها تُبينُ خلاخيلَ النساء الهوارب

(القرشى،١٩٢٦م: ٢٥٢)

ويقول عوف بن عطية التميمى:

ولنعم فتيانُ الصباح لقيتمُ وإذا النساء حواسرٌ كالعُنقُر
من كل واضعة الخمار وأختها تسعَى ومنطَقُها مكانَ المِئزَر[1]

(الضبى، لاتا، ج٢: ١٢٧)

ويشير طرفة إلى الكشف عن السوق حين الهول والفزع من الحرب والتأهب من

١. العنقر: أصول القصب والبقل والبردى مادام أبيض. منطقها مكان المئزر، سقط إزارها من فزعها فظهر منطقها.

الفرار، وهن یفعلن ذلک خشیة السبی فِیسفرن لیظن أنهن إماء:

یوم تُبدی البیض عن أسوقها وتلف الخیل أعراج النَّعم

(الاصفهانی، لاتا، ج۵: ۵۰؛ و ج۲۴: ۸۵)

ویقول المهلهل:

علی أن لیس یوفی من کلیب إذا برزت مخبّأة الخُدور

(الاصفهانی، لاتا، ج۵: ۵۳)

ویقول سبرة بن عمرو الفقعسی فی هجاء بنی نهشل إن نسوتهم تشبهن بالإماء مخافة السباء فبرزن مکشوفات:

ونسوتکم فی الرّوع بادٍ وجوهها یُخَلنَ إماء والإماء حرائر

(البغدادی، لاتا، ج۹: ۵۰۹)

ومن قول بشر بن أبی خازم فی هذا المعنی:

فلمّا أیقنوا بالموتِ ولّوا شِلالاً مُرمِلینَ بکلِّ قاعِ

وکم من مُرضعٍ قد غادروها لهیفَ القلبِ کاشفةَ القِناعِ

ومن أخری مُثابَرةٍ تنادی ألا خلّیتُمونا للضیاع

ومن دلالات السفور عند الخوف والفزع ما کان للشاعر توبة بن حمیر فیقال إنه: إذا أتی لیلی الأخیلیة خرجت إلیه فی برقع فلما شهر أمره شکوه إلی السلطان فأباحهم دمه إن أتاهم فمکثوا له فی الموضع الذی کان یلقاها فیه فلما علمت به خرجت سافرة حتی جلست فی طریقة فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد وأنها سفرت لذلک تحذره فرکض فرسه فنجا. وذلک قوله:

وکنت إذا ما زرت لیلی تبرقعت[1] فقد رابنی منها الغداة سفورها

وقد رابنی منها صدود رأیته وإعراضها عن حاجتی وبسورها

(الاصفهانی، لاتا، ج۱: ۲۱۱)

۱. البُرقُع: والبُرقَع والبِرقِع: ما تستر به المرأة وجهها، والجمع: البراقع. تبرقَعَت المرأة: لَبِست البرقع. وبرقَعها: ألبسها إیاه. (یوسف موسی والصعیدی، ۱۴۱۰ق، ج۱: ۳۷۴)

فقال الحجاج يا ليلى ما الذى رابه من سفورک فقالت أيها الأمير كان يلمّ بى كثيراً فأرسل إلىّ يوما إنى آتيک وفطن الحىّ فأرصدوا له فلمّا أتانى سفرت عن وجهى فعلم أن ذلک لشر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال لله درک. (زكى صفوت، لاتا، ج۲: ۴۱۰)

كما يبدو من البيت الثالث أن ليلى كانت تتبرقع على النمط الجاهلى حتى أمام حبيبها ولكنها عندما اقتضت الحاجة ولكى تنبىء عن أمر خطير كشفت عن برقعها وهذا ما يدل على أن التستر كان يلتزم بها البعض بشكل غير ما فُرِضت فى الإسلام.

ومن ذلک ما قال الأعرج فى هذا المعنى:

أرى أم سهل ما تزال ... تفجع تلوم وما أدرى علام توجع

تلوم على أن أمنحَ الوردَ لَقحةً ... وما تستوى والوردَ ساعة تَفزَع

إذا هى قامت حاسراً مشمعِلَّةً ... نخيبَ الفؤاد رأسُها ما تُقنِّعُ[1]

(الزبيدى، ۱۹۹۴م، ج۲۰: ۴۱۲)

وقال الشمردل بن شريک فى رثاء أخيه وائل ومدحه بأنه كان موئلاً لنساء مروّعات، فزِعات فى يوم كريهٍ كادت المرأة تكشف فيه عن خلاخيلها فرَقاً من السبى:

إذا استعبرت عوذُ النساء وشمرت ... مآزر يومٍ لا تُوارى خلاخلُه

وثقن به عند الحفيظة فارعوى ... إلى صوته جاراته وحلائله

(الاصفهانى، لاتا، ج۱۲: ۱۱۳)

ولم يقتصر الحديث عن السفور لمثل داعية الرعب على العهد الجاهلى وإنما طرقه شعراء آخرون فى أشعارهم فيما بعد الإسلام كما لمح الحطيئة إلى هذا الدأب الجاهلى فى شعره قائلاً من فخره:

ونحنُ إذا ما الخيلُ جاءت كأنها ... جرادُ زفَت أعجازَه الريحُ منتَشِر

۱. اللقحة: الناقة التى بها لبن، والورد: اسم فرسه. الحاسر: المنكشف الرأس، والمشمعل: الجاد فى جريه، والنخيب: الضعيف، والمقنع: اللابس القناع. يقول: وما تستوى أم سهل مع الورد ساعة الفزع إذا قامت أم سهل مشمعلة أى جادة فى الجرى. نخيب الفؤاد: أى طائرة اللب لإقناع على رأسها لدهشتها وهذا بيان لحالها ساعة الفزع.

إذا الخفرات البیض أبدت خِدامها　　　وقامت فزالت عن معاقِدها الأزُر[1]

(البستانی، لاتا،ج۲: ۳۹)

ویقول مهیار الدیلمی مشیراً إلی هذا التقلید الجاهلی فی وصف بیت لمروحة الخیش:

ومنشورة سترَت نفسها　　　فخاطت قمیصاً ولاثت خماراً
وعزَّت فصانت سوی ساقها　　　وما إن أباحته إلاّ اضطراراً
تشمّرُ عنه جلابیبها　　　لعادتِه أن یخوض الغِمارا
فکادت تواریه ضِنّا به　　　ومن حسنِها أنه لا یُواری
تشکّکنی وهی طوع الریاح　　　تتبعُها یَمنة أو یساراً

(البستانی، لاتا، ج۳: ۲۱۰)

إنّ هذا العرف قد اندرس بعد ظهور الإسلام بکثیر وبقی الالتزام بالحجاب فی معمعة الحرب وصروف الدهر غایة اعتقادیة ذات قیمة ملموسة لن تتخل عنه المسلمة العربیة المؤمنة بالله ورسوله وقد بلغ ذلک مبلغ کماله عند عترة النبی (ص) خاصة فی یوم عاشوراء. قال العلامة المحقق المرحوم المقرم فی کتابه «مقتل الحسین»: «لما قتل أبو عبدالله الحسین علیه السلام مال الناس علی ثقله ومتاعه وانتهبوا ما فی الخیام وأضرموا النار فیها وتسابق القوم علی سلب حرائر الرسول (ص) ففررن بنات الزهراء(ع) حواسر مسلبات باکیات وأن المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من إصبعها وقرطها من أذنها والخلخال من رجلها» (المقرم، ۱۴۱۴ق: ۳۰۰). یقول الشریف الرضی واصفاً أهل بیت الرسول (ص) فی یوم الطف فی مرثیته لحسین بن علی(ع):

لیس هذا لرسول الله یا　　　أُمّة الطغیان والبغی، جزا
جَزَروا جزرَ الأضاحی نسلَه　　　ثم ساقوا أَهلَه سوقَ الإما
معجلاتٍ لا یوارین ضُحًی　　　سُنَنَ الأوجه أو بیض الطُلی

(البستانی، لاتا، ج۳: ۱۸۲)

۱. زفت: استخفته وحملته. الخفرات: النساء الحییات. الخدام: مفردها خدمة: الساق، وهو کنایة عن الفزع والهرب وقت الحرب.

هاتِفات برسول الله فى بُهُرِ السعيِ وعثراتِ الخُطى
يومَ لا كسرَ حجابٍ مانعٌ بذلة العينِ ولا ظلّ خِبا

وقال عبد المنعم الفرطوسى من قصيدة له:

وكم حرة حسرى بدت من خباً لها وليس لديها ساتر غير «مرفق»

(المقرم، ١٤١٤ق:٣٠٠)

إنه قد أكثر الشعراء من وصف هذه الرزية العظيمة وما أدراک ما هى؟ إن زينب بنت على بن أبى طالب (ع) عندما ألقت تلک الخطبة الغراء فى مجلس يزيد بن معاوية بعد واقعة الطف أول ما بثت عن نفثاتها المصدورة كان لها شكوى عن هتک الستور والكشف عن الوجوه فقالت: «أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله سبايا. قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههنّ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل، ويتصفح وجوههنّ القريب والبعيد، والدنى والشريف، ليس معهن من حماتهن حمى ولا من رجالهن ولى...» (المقرم،١٤١٤ق: ٣٥٨)

٥. إبراز المحبة

ومن أسباب سفورها شق الرداء والبرقع لدوام المحبة. زعموا أن المرأة إذا أحبت رجلا أو أحبها ولم تشق عليه رداءه ويشق عليها برقعها فسد حبهما قال الشاعر:

إذا شقّ بُرد شقَّ بالبُردِ برقعٌ دوالَيک حتى كلنا غير لابس
فكم قد شققنا من رداء محبر ومن برقع عن طفلة غير عانس

(القلقشندى، ١٩٨٧م، ج١: ٤٦٤)

وفى «الأغانى» عن على بن المغيرة الأثرم قال: قال أبو عبيدة الذى تناهى إلينا من حديث سحيم عبد بنى الحسحاس إنّه جالس نسوة من بنى صبير بن يربوع وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزل أن يتعابثوا بشقّ الثياب وشدّة المغالبة على إبداء المحاسن، فقال سحيم:

كأن الصبيريات يوم لقيننا ظباء حنت أعناقها فی المكانس
فكم قد شققنا من رداء منير ومن برقع عن طفلة غير ناعس
إذا شق برد شق بالبرد برقع على ذاک حتی كلنا غير لابس

(الاصفهانی، لاتا، ج۲۲: ۳۱۰)

۶. عرف القبيلة

إنّه قد لا يكون السفور دليله من أجل عرض الجمال أو الافتخار بالكمال أو المكانة وإنما قد يعود سببه إلى عرف القبيلة وعدم اعتقادها بلزوم التستر فالمرأة حينئذٍ لا تغطی نفسها بستر خضوعاً لعرف القبيلة خاصة إذا كانت على ثقة من عفاف الجار، يقول الشنفرى:

عفاهيّةٌ لا تَقصُر الستر دونها ولا تُرتَجى للبيت إن لم تُبيّتِ

(ابن منظور، لاتا، ج۱۳: ۵۱۸؛ الاصفهانی، لاتا، ج۲۱: ۹۱)

كما رويت عن عائشة أخبار عدة فی المصادر الروائية والتفسيرية تثبت أن بعض النساء كن يسفرن تباعاً لتقاليد القبيلة الموروثة من ذلک قولها: «إن نساء الأنصار لما نزلت سورة النور عمدن إلى حُجور أو (حجوز) فشققنهنّ فاتخذن خمراً.» وقولها: «يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿... **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**...﴾ (النور: ۳۱) شققن أكثف مروطهنّ فاختمرن بها.» وروى عن أمّ سلمة أنّه لما نزلت: ﴿... **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ**...﴾ (الأحزاب: ۵۹) خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهنّ الغربان من الأكسية.» (السجستانی، ۱۹۹۰م، ج۲: ۲۶۹)

فعلى ذلک كان السبب الرئيسی والأكثر تأثيراً لسفور المرأة الجاهلية هو عرف القبيلة. وفيه يقول الجاحظ: «إنّ الغالبية فی النساء الجاهلية أنهن كن سوافر حواسر مكشوفات الوجوه والجيوب إذ لم يكن بين الرجال والنساء حجاب ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلتة ولا لحظة الخُلسة... ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ولم يكن النظر من بعضهم إلى بعض عاراً فی الجاهلية ولا حراماً.»

(الحوفی، لاتا: ٣٦٩ نقلاً عن رسالة القیان للجاحظ ص٥٦) وکانوا إذا توسم رجل منهم نظرة إلی امرأته أو أخته أو ابنته بریبة طُلب الناظر إلی التبارز أو التجالد أو المصارعة، وربما نشب القتال بین القبائل غیرة علی نظرة مریبة (واجدة مجید، ١٩٨١م: ٣٠). فإلی ذلک حمد الرجل سیرته إذا ما کان له نظرة طیبة طاهرة بریئة من الریب أو له غض من البصر عند التقاءه بالمرأة الأجنبیة. قال ابن حبیب: قال عبد الملک لمؤدب ولده إذا رویتهم شعرا فلا تروهم إلا مثل قول العجیر السلولی:

یبین الجار حین یبین عنی ... ولم تأنس إلی کلاب جاری
وتظعن جارتی من جنب بیتی ... ولم تستر بستر من جداری
وتأمن أن أطالع حین آتی ... علیها و هی واضعة الخمار
کذلک هدی آبائی قدیما ... توارثه النجار عن النجار

(الاصفهانی، لاتا، ج١٣: ٨١)

کما هو بیّن إن العرب الجاهلی کان لدیهم لبس الخمار معروف، لکن الأمر لم یکن سائداً دائماً بینهم ولم یکن الالتزام بلبسه جاریاً فی کل الظروف فی ثقافتهم فالمرأة الجاهلیة أحیاناً إذا اطمأنت من عفاف أحد لم تتعهد بالستر ووضعت الخمار مثل ما مرّ فی قول السلولی حیث وضعت الجارة الخمار لاطمئنان لها من جارها.وهذا هو التراث القَبلیّ الثقافیّ الذی انتقل من جیل إلی جیل.

وللحاتم الطائی کلام یذکر فیه رفده لجارتها لدی غیاب البعل من دون زیارتها أو إلقاء نظرة علیها مما یدل علی أهمیّة التعفّف والتباهی به کفضیلة أخلاقیّة لدی الرّجل واعتزاز المرأة بعفّتها واعتدادها بتصوّنها من دون أن یُقصر علیها ستر أو حجاب. فیقول:

سیبلُغُها خیری ویرجعُ بَعلُها ... إلیها ولم یُقصَرعلیَّ سُتورُها

(الطائی، لاتا: ٥٢)

وله إشارة أخری إلی تکریم المرأة فی تسترها عند غیاب زوجها وهی أنه لا یأتی الجارة لیلاً وبعلها غافل أو غائب عنها إلا إذا اضطر إلی حمل طعام أو هدیة إلیها وذلک باطمئنان من عفّة البصر ومعروف الکلام وعدم الافتنان حیث بعلها لا یمسّ عرضه

بسوء:

لا نطرقُ الجاراتِ من بعدِ هَجعةٍ　　من اللَّيلِ إلاّ بالهدية تُحمَلُ
ولا يُلطَمُ ابنُ العمِّ وسطَ بُيوتِنا　　ولا نَتَصَبّى عرسَهُ حينَ يَغفُلُ[1]

(الطائی، لاتا: ٧٢ و٧٣)

المرأة الجاهلية وأسباب سترها

الدلالات الذاتية (الفطرة، الغيرة)

١. الفطرة

إنّ الفطرة البشرية النبيلة تميل إلى ستر المرأة وعفافها وطهارتها وحياءها فكلما تحلت المرأة بزينة العفاف والحياء والتمنع أكثر تجلى منها الجمال النفسی للرجل أكثر حتى ولو كان الرجل فاسقاً مستهتراً لا يغار على أهله. فنفاسة المرأة لاتتأتی فی الوهلة الأولى إلا من وراء التصون وكونها بكراً. وعلى ذلك قد استهوى الخلق الطاهر الأعشی ـ وهو صاحب خمر ولذة حسية ـ ورفضت ذاتيته الدعارة وقلة الحياء من المرأة وخلق من عقليته المنبعثة عن سرّ باطنه امرأة طيبة السمعة لا تتناولها الألسن وهی المطلوبة له فيقول:

أو بيضةٍ فی الدّعصِ مكنونةٍ　　أو دُرّةٍ شِيفَت لدى تاجرِ
يشفی غليلَ النفسِ لاهٍ بها　　حَوراءُ تُصبی نظرَ الناظرِ
ليست بسوداءَ ولا عنفِصٍ　　تسارقُ الطرفَ إلى الداعِرِ
عَبهَرة الخُلقِ بُلاخِيَّةٌ　　تشوبه بالخُلُقِ الطاهر[2]

(الحِتی، لاتا: ١٧٨)

---

١. يلطم: المضارع من لطم يلطم فلاناً: ضرب صفحة خدّه بباطن الكف، واللطم المقصود هنا ليس الصفع باليد أو الكفّ ولكنّه النيل من شرف الملظوم والإساءة إلى عرضه. العرس: الزوجة. حين يغفل: سهما عنه وتركه.

٢. عنفص: بذيئة قليلة الحياء أو داعرة. عبهرة: عظيمة حسنة الخلقة. بلاخية: طويلة لينة. وفی نسخة (الفراهيدی، ١٤١٤ق، ج٤: ٢٢٥؛ و الزبيدی، لاتا، ج٤: ٢٩١) هكذا ورد: عبهرة الخلق طباخية تزينه بالخلق الطاهر؛ والطباخية: شابة مكتنزة.

بناء على هذه الفطرة الموهوبة قال الله تعالى فی تشجيع الإنسان على عمل الخير والعفاف: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (الصافات: ۴۹) فعلماً برغبة الرجال إلى عفة المرأة المحصنة وصف نساء الجنة بالمتسترّات المصونات فشبّههنّ ببطن البيض قبل أن يقشر و تمسّه الأيدى. ومنه قول امرئ القيس وإن كان إباحياً لا يصرفه عن إباحيته شیء لكنه فی سرّه المكنون وشخصيته اللاواعية يستهوى المتسترّة المكنونة المصونة عن النظر واللمس وهذا المعنى كثير فی أشعار العرب:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها   تمتّعت من لهو بها غير معجل

ومنه قوله:

كبكر مقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير محلل

إنّ الله تعالى أمّل الإنسان بالحور العين الشبيهات باللؤلؤ المكنون حسب فطرته الطاهرة لعله يرتدع عن غيه وضلاله فلا يكدر الفطرة بحبه وميله إلى الإباحة والسفور وقال فی قوله الكريم: ﴿حُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (الواقعة: ۲۳) فشبههنّ باللؤلؤ المكنون أى المستور بما يحفظه لأنه أصفى وأبعد من التغير، وفی الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذى لا تمسه الأيدى (آلوسى، لاتا، ج۲۷: ۱۳۸). وهكذا الشعراء رغماً على ظواهرهم النفسية مدحوا المرأة المكنونة المستورة العفيفة، مثل قول الشاعر عمر بن أبى ربيعة:

وهی بيضاء مثل لؤلؤة الغوّا   ص ميزت من جوهر مكنون

وهذه من المواضع التى تدل على أن العفاف كان مهتما به عند الشعراء الجاهليين حيث استعملوا كلمة اللؤلؤ فی تشبيههم النساء العفيفات المصونات بالدرّة. ووصف الحسنات بذلك شائع فی العرب، ومنه قوله:

قامت تراءى بين سجفى كلّة   كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

أو درّة صدفيّة غوّاصها   بهج متى يرها يهلّ ويسجد

(آلوسى، لاتا، ج۱۴: ۱۳۹)

مما يستجلب النظر أن أقصى ما بلغه الشعراء فی وصف المرأة أنهم نعتوها بالدرة

النفيسة لإشراقها وبياضها الناشىء عن الصيانة وكونها مكنونة محفوظة غير متيسرة ليد لامسة أو عين ناظرة وغير متعرضة لعارضة شمس أو هواء ليتغير لونها فيذهب بهاءها ووضاءتها، أو جعلوا المرأة درةً يحرسها الجنّ عن رؤية الإنس وإذا ما ظفر به الإنس جعله حارساً يحميها عن أنظار الغير. قد رسم الأعشى الصورة الأخيرة فى قصيدته المشهورة «الدرة الزهراء» وهى من قصائده القليلة التى فرغ فيها للغزل. جعل فيها مارداً من الجن يحرس هذه الدرة، ولا يغفل عنها ليلا ولا نهاراً حتى لا يأخذها غواص، وجعل هذا الغواص الذى ظفر بها مترقباً لها مذ كان شاباً فمن قصيدته يقول:

كأنها درةٌ زهراء أخرجها ... غواصُ دارِينَ يخشى دونها الغَرَقَا
قد رامها حِججاً مذ طَرَّ شاربُه ... حتى تسعسَع يرجوها وقد خَفَقَا
ومارِدُ مِن غُواةِ الجِنّ يحرُسُها ... ذونِيقَةٍ، مستعِدُ دونَها تَرَقَا
ليست له غفلةٌ عنها، يَطيفُ بها ... يخشى عليها سُرى السارِينَ والسَرَقَا

(الحتى، لاتا: ٢١٨)

وشبهها المسيَّب بن علس بالدرة وأطال فى وصفها وكيفية الحصول عليها، وصور المجهودات والمشقات التى بذلت لاستخراجها من البحر الهائج المواج، حتى لقد ترصدها الغواصون شهورا، ولم يقدر على صيدها إلا صياد فارع الطول صبور ضامر خفيف، أطلى بالزيت ليقى جسده من الماء الأجاج، تدفعه الرغبة إلى أن ينال هذه الدرة، لأنه شديد الحاجة والمسغبة، وهو عاقد العزم على أن ينالها؛ لأن أباه كان يبتغيها من قبل فغرق، فلا بد أن يثأر منها، وقد قضى نصف النهار يفتش عنها، والماء يغمره، ولم ينثن حتى فاز بها، فأخرجها متلألئة كالجمر، وإن الملاحين ليشاركونه فى إعجابه بها فيسجدون لها، وأنه ليضمها إلى صدره إعزازاً لها، ثم قال: إن هذه الدرة النفيسة تشبه الحبيبة حين تشرق من خدرها فيقول من مقطوعته الشعرية:

كجمانة البحرى جاء بها ... غواصها من لجة البحر

إلى أن يقول:

فأصاب مُنيتَه فجاء بها ... صدَفيَّة كمضيئة الجمر

يعطى بها ثمناً ويمنعها	ويقول صاحبه ألا تشرى؟
وترى الصرارى يسجدون لها	ويضمها بيديه للنحر
فلتلك شبه المالكية إذ	طلعَت ببهجتها من الخدر

(البغدادی، لاتا، ج٣: ٢٢٣)

وسلک هذا المسلک فی إيجاز، المخبل السعدی فی قوله:

وتريک وجهاً كالصحيفة لا	ظمآن مختلج ولا جهم
كعقيلة الدر استضاء بها	محراب عرش عزيزها العُجم
أغلى بها ثمناً وجاء بها	شخت العظام كأنه سهم
بلبانة زيت وأخرجها	من ذی غوارب وسطه اللُّخم

(الزبيدی،١٩٩٤م ،ج١: ٢٠٤؛ الضبی، لاتا، ج١: ١١٣؛ الحوفی، لاتا: ٤٧و٤٨)

ولكن أين هذا الوصف الذی اقتصر فيه الشاعر على ابتعاد الإنس عنها دون الجنّ مما جاء فی الوحی المنزل فی وصف المرأة الخفرة المصونة عن كل لمسة ونظرة حتى عن حراسة الجن حيث لا يبلغ كنه وصفه فكر بشر وذلک قوله تعالى: ﴿**حورٌمقصورات فی الخيام**﴾ (الرحمن: ٧٢) وقوله تعالى: ﴿**فيهنّ قاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**﴾ (الرحمن: ٥٦) وهذه قمّة الكمال المبتغاة لستر المرأة حيث لم يمسّها بشر أو جن من ذكر وأنثى ولم يرها أحد منهم لأنهنّ أنشئن إنشاءاً جديداً وبديعاً. كما ورد فی بعض الأحاديث ما مضمونها أنّ خيرهن فی هذه الدنيا من لم يلقين الرجال، ولم يرهنّ الرجال. وهذه هی الغاية التی لم يبلغها غالبية الشعراء فی وصفهم. قال رجل لخاطب ابغ لی امرأة لا تؤنس جاراً ولا توطّن داراً يعنی لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفی مثل هذا قال الشاعر:

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلف	عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها	بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الأعشى من وصفها:

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل	ولم تر الشمس دونها الكلل

(الأبشيهی،١٩٨٦م، ج٢: ٤٨٩)

وکذلک قد أثر حیاء المرأة کأمر فطری فی حجابها فحیاءها الذی جروا فی مدحه لها شعراء کثیرون، قد أعاقها عن الظهور بمنظر من الناس ومنعها من الحضور من غیر الحشمة بما یؤذی أو یغری الآخرین حیث لمح إلی ذلک بعض الشعراء فی أنها قد تقلّ زوراتها لجاراتها، فیعذرنها ویزرنها، وهی لیست مستهینة بهن ولکنها ذات حیاء وخفر، قال قیس بن الأسلت:

وتکرمها جاراتها فیزرنها وتعتلّ عن اتیانهن فتُعذر
ولیس لها أن تستهین بجارة ولکنها منهن تحیا وتخفر

(الاصفهانی، لاتا، ج۱۵: ۱۵۹)

۲. الغیرة

وکذلک یمکن أن نعتبر الغیرة بأنّها تمثل دوراً فاعلاً فی صیانة المرأة وسترها کدلالة نفسیة إیجابیة ولکن قد تکون الغیرة فی غیر موضعها فتضع أوزارها بإثارة الفتن ونشوب الحروب وتضییع الحقوق، کما أنه «کان فی سبب الیوم الثانی من أیام الفجار الأول أن شباباً ذوی غرام من قریش وبنی کنانة رأوا امرأة من بنی عامر جمیلة وسیمة بسوق عکاظ، وسألوها أن تسفر فأبت، فامتهنها أحدهم، واستهزؤا بها فاستغاثت بقومها فقامت الحرب وسفکت الدماء.» (الاصفهانی، لاتا، ج۲۲: ۶۰)

وقد ذکر المؤرخون والمفسرون أنّ من أسباب الوأد الغیرة علی البنات أن یُسبَینَ أو یزوّجنَ بغیر أکفاء. (الحوفی، لاتا: ۲۴۹) وفی العصر الجاهلی کان من أسباب دفن البنات عند بعض القبائل أنّهم کانوا یحرصون علی العفاف والصیانة حتی أدّی حرصهم علی ذلک إلی وأد البنات. وعدّ عبید الله بن عبد الله بن طاهر وسائل الستر التی یُرجّیها کلّ أبٍ لابنته فی ثلاثة أشیاء وفضّل القبر علیها جمیعاً:

لکلّ أبٍ بنت یُرجَّی بقاؤُها ثلاثة أصهار إذا ذکر الصهر
فبیتٌ یُغطّیها وبعل یصونُها وقبر یواریها وخیرهم القبر

(الحوفی، لاتا: ۲۹۲)

وفيه قال الشاعر:

سمَّيتها إذا وُلِدت تموت   والقبر صهرٌ ضامنٌ زِمّيت

(الطبرسى، لاتا، ج ١٠: ٢٧٨؛ الزبيدى، ١٩٩٤م ،ج٣: ٥٢)

ومن الطريف أن نرى ثمّة من الشعراء من لم يتخلوا عن انطباعهم لهذه العقلية الجاهلية فى العصور التالية، ممّا أفضى ببعضهم كالمتنبى إلى أن جعل نفسه يواسى بها سيف الدولة المصاب فى رثاء أخته الصغرى قائلا بأنّها زفت إلى القبر واتخذت الموت بعلاً لها:

وإذا لم تجد من الناس كفواً   ذاتُ خدرٍ أرادت الموت بعلا

(واجدة مجيد،١٩٨١م: ١٥١)

وقد جعل المتنبّى فى تعزية سيف الدولة عن أخته خولة مدحه لأهم ما توسّمُ به المرأة وهو الستر. فقد كان دونها كل حجاب وكانت رؤيتها عصيّة على الأعين لا تكاد تدركها فقال:

قد كان كل حجاب دون رؤيتها   فما قنعتها يا أرض بالحجب

ولا رأت عيون الإنس تدركها   فهل حسدت عليها أعين الشهب

(واجدة مجيد، ١٩٨١م:١٥٠)

ومثله على هذا الضرب من أسلوب التعزية نجد الشريف الرضى فإنّه رثى بعض أخواته ونعتها أيضاً بما يحسن أن تنعت به المرأة من المجد والعفة والصون فقال من رثاءه فيها:

ودون كل حجاب   من العفافة حجب

وقبرك الصون من   قبل أن يضمك ترب

(واجدة مجيد، ١٩٨١م:١٥٢)

وهكذا الغيرة قد عملت دورها فى قلّة الرثاء للمرأة حفظاً على عرضها وصيانتها. كما ذهب إليه بعض الناقدين فى أنّ من أشدّ أنواع الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى امرأةً، لضيق الكلام عليه فيها، وقلة الصفات.

الدلالات اللفظية

أسباب تستر المرأة فی العصر الجاهلی لا تقتصر علی میول فطریة فحسب وإنما تتجلی ملامح تصون المرأة الجاهلية فی مظاهر مختلفة أخری تدل علیها دلالات لفظية كثيرة فی شعر العرب علی احتفاظ المرأة بالحجاب وإن كان نسبياً غير مستوف ما طمح إليه دين الإسلام من التستر الكامل الممنّع من الريب والإثارة. هناک ألفاظ غير قليلة وردت فی شعر العرب الجاهلی فی مجال ستر المرأة ما يدل علی معرفتها وعقيدتها الذاتية بأمر الحجاب كما ويدل علی نوع من الالتزام النسبی بمسألة التستر والحجاب لديهم نحو: النقاب البرقع، الحجاب، الجلباب، الخمار، اللثام، النصيف و.. وبما أن الأشعار المتضمنة لهذه الألفاظ كثيرة نذكر منها نماذج علی سبيل الإشارة العابرة بما فيها من الدلالة المقنعة علی التستر لدی المرأة الجاهلية.

من تلک الأبيات الشعرية التی انطلقت بها ألسنة الشعراء بتستر المرأة الجاهلية وعفافها ما أنشدها السليک بن السُلَكة فی مدح فُكيهة وهی امرأة جاهلية من بنی قيس بن ثعلبة، كان من وفائها أنّ السليک غزا بكر بن وائل، فبصروا به، فعدا حتی ولج دار فكيهة فاستجار بها، فأدركوه وحاولوا أن ينتزعوه منها، ونزعوا خمارها، فاستغاثت بإخوتها، فجاءوا عشرة، فمنعوهم وأجاروا السليک، وفی ذلک يقول مادحاً لها:

لعمر أبيک والأنباء تنمِی　　　لنعم الجار أخت بنی عُوارا
من الخفرات لم تفضح أباها　　　ولم ترفع لإخوتها شنارا
وما عجزت فكيهة يوم قامت　　　بنصل السيف وانتزعوا الخمارا

(الاصفهانی، لاتا، ج۱۸: ۱۳۷)

وقال آخر:

تحک قفاها من وراء خمارها　　　إذا فقدت شيئا من البيت جنت

وقولهم فی أمثالهم «إن العوان لا تُعلم الخِمرة» أی لا تحتاج إلی تعليم الاختمار، يضربون ذلک للرجل المجرب[1]. (العسكری، ۱۹۸۸م :۱۳۹؛ والميدانی، لاتا، ج۱: ۱۷)

۱. العوان: الثيب أو بنت الثلثين.

كما يبدو من الوحى المنزل وما ورد فى التفاسير أن المرأة الجاهلية لم تكن تتقن لبس الخمار ليغطى جميع محاسنها ولم تدرِ ثغور تسترها للرجل الأجنبى وحدود سفورها للأقارب والمحارم. فنزلت من الآيات ما تبيّن لها وتفرض عليها حجابها وحدود سترها لزينتها. منها ما ورد فى القران الكريم قوله تعالى : ﴿... **وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ**...﴾ (النور: ٣١) قال شيخنا أمين الإسلام الطبرسى (قدس سره) فى تفسير مجمع البيان: «والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة المنسدل على جنبيها، أمرن بالقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل إنهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن، وكنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها. وقيل إنهن أمرن بذلک ليسترن شعرهن وقرطهن وأعناقهن، قال ابن عباس تغطى شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها.» (الطبرسى، لاتا، ج٧: ٢١٧)

هناک ألفاظ أخرى تدل على عناية الثقافة الجاهلية بالستر والحجاب، منها «النصيف» وهو من أسماء الخمار. قال النابغة: يصف «المتجرِّدة» امرأة النعمان ابن المنذر لمَّا سقط برقعها وهى مارَّة على مجلس الرجال:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه　　　فتناولته　واتقتنا　باليد[1]

(الجمحى، لاتا، ج١: ٦٨)

ومن ألفاظ الستر ما يسمّى بالنقاب[2] وهو ما تضعُه المرأة على وجهها لستره، ويُسمَّى أيضًا «البُرقُع» أو «النَّصِيف» وقد أتت هند بنت عتبة إلى النبى(ص) وهو بالأبطح متنقبة فبعد أن أعلنت إسلامها وجرى حديث بينهما، كشفت عن نقابها، وقالت أنا هند بنت عتبة، فقال الرسول مرحبا بک. (الحلبى، لاتا، ج٣: ٤٧؛ ابن سعد، لاتا، ج٨: ٢٣٦؛ ابن عساكر، لاتا، ج ٧٠: ١٧٩)

وتحرض أم عمرو بنت وقدان قومها على الثأر بأنهم إن لم يثأروا فعليهم أن يدعوا السلاح ويتكحلوا ويتنقبوا كالنساء:

١. النصيف: ثوب تتجلَّل به المرأة فوق ثيابها كلها، سمى نصيفاً لأنه نصَفٌ بين الناس وبينها فحَجز أَبصارهم.
٢. النِّقاب: ما تنتقب به المرأة، يكون على مارنِ الأنف. انتقبت المرأةُ وتنَقَبت: غطّت وجهها بالنقاب. (الإفصاح، لاتا، ج١: ٣٧٤)

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح و وحِّشوا بالأبرق
وخذوا المكاحل والمجاسد وألبسوا نُقُبَ النساء فبئس رهطُ المرهَق[1]

(الحوفی، لاتا: ۳۷۶)

وأما القناع ففيه يقول النمر بن تولب فی امرأته التی هجرته:

وصدّت كأنّ الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنّت بحاجب

(الاصفهانی، لاتا، ج۱۹: ۱۵۹)

ويعجب الشنفری بحبيبته وهی منتقبة لا تكشف وجهها:

فقد أعجبتنی لا سقوطٌ قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفّت

(الاصفهانی، لاتا، ج۲۱: ۹۰)

قال النابغة الجعدی فی بحر الطويل:

ملكنا فلم نكشف قناعا[2] لحرة ولم نستلب إلاّ الحديد المسمّرا

(السيد الأمين، لاتا، ج۶: ۲۶۱)

وذكر عروة بن الورد:

فراشی فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهنی عنه غزال مقنّع

(الموصلی، ۱۹۹۵م، ج۱: ۳۶۱)

والبرقع كذلک من تلک الألفاظ التی تستر به المرأة وجهه وذلک كما مرّ فی «أسباب سفور المرأة» قول توبة بن الحمير:

وكنت إذا ما جئت ليلی تبرقعت فقد رابنی منها الغداة سفورها

هذا وقد وردت لفظة الجلباب[3] مرة فی الشعر العربی. قالت جنوب أخت عمرو ذی الكلب ترثيه:

---

۱. وحّشوا بالأبرق: كونوا مع الوحوش بالأرض الرملية الحجرية. المرهق: الذليل المضيق عليه.
۲ . القناع ما تتقنّع به المرأة من ثوب تغطّی رأسها ومحاسنها. ونحوه المقنّعة وهی ما تقنع به المرأة رأسها.
۳. والجلباب: ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطی به المرأة رأسها وصدرها. ... قال ابن السكيت، قالت العامرية: الجلباب الخمار، وقيل: جلباب المرأة ملاءتها التی تشتمل بها، واحدها جلباب، والجماعة جلابيب. وفی التنزيل العزيز : ﴿... يُدْنينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِن ...﴾ (ابن منظور، لاتا، ج۱: ۲۷۲ـ ۲۷۳)

تمشى النسور إليه وهى لاهية　　　مشى العذارى، عليهن الجلابيب

(ابن منظور، لاتا، ج١: ٢٧٢ـ٢٧٣)

وقال تميم بن أبى:

لبِسَت جلابيبَ الحريرِ وخدّرت　　　بالرّيط فوق نواعج وجِمال

وحار قيس بن الخطيم فى نوع الرائحة التى تضوع من جلبابها فقال:

كأن القرنفل والزنجبيل　　　وذاكى العبير بجلبابها

(شبلى، لاتا: ۶۴)

النتيجة

بناءاً على الفطرة النبيلة البشرية كان لسترالمرأة وعفافها عناية خاصة يوليها العرب الجاهلى فى ذات نفسه.

كان لسفور المرأة الجاهلية عدة أسباب أهمّها فيما يلى:

الحزن والمصيبة: حيث إنها تفقد صبرها وصوابها عند المصائب المفجعة، فتخرج عن خباءها وتشق جيبها أو تمزق خمارها وتلطم على وجهها حاسرة الرأس والذراع جزعاً منها على فقيدها.

إبداء الحسن والزينة: إن المرأة الجاهلية قد كانت تتخلى عن التزامها بالستر والحجاب لما كان لها من الحرية فى إبداء الزينة فى ظروف خاصة كأيام الحج أو غير الحج فى الرحلات.

الفقروالجوع: من دواعى السفور لدى المرأة الجاهلية معاناتها من الجوع والفقر حيث كانت أحياناً تؤدى بها إلى تركها التعزل والخفر وعدم احتجابها وحضورها محضر السوء سداً للجوع وكسباً للرزق.

الخوف من السبى: كانت المرأة العربية الجاهلية تسفر فى الحروب إذا أيقنت هزيمة قومها وخشيت السبى فتتشبه بالأمة حتى يُزهَد فيها وتتأهب للفرار سافرة.

إبراز المحبة: من أسباب سفورها شق الرداء والبرقع لدوام المحبة. زعموا أن المرأة

إذا أحبت رجلا أو أحبها ولم تشق علیه رداءه ویشق علیها برقعها فسد حبهما.

هناک دلالات ذاتیة منبعثة عن الفطرة توحی بأن العرب الجاهلی ولو أنه كان فاسقاً مستهتراً لأعراض الناس لكنه فی داخل نفسه یستحمد تصون المرأة وعفافها، فیصف امرأته المطلوبة بأنها عفیفة، طیبة السمعة لم تتناولها الألسن، ویشبهها بالدرة المكنونة أو بیضة الخدر لما یجد فیها من الصفاء والحصانة الممیزة.

هناک ألفاظ غیر قلیلة وردت فی شعر العرب الجاهلی فی مجال ستر المرأة ما یدل علی معرفتها وعقیدتها الذاتیة بأمر الحجاب كما یدل علی نوع من الالتزام النسبی بمسألة التستر والحجاب لدیهم نحو: النقاب البرقع، الحجاب، الجلباب، الخمار، اللثام، النصیف و.... .

المصادر والمراجع

آلوسی، أبوالفضل محمود. لاتا. *روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی*. ۳۰ج. بیروت: دار إحیاء التراث العربی.

البستانی، فؤاد أفرام. لاتا. *المجانی الحدیثة: عن مجانی الأب شیخو*. اختیار ودرس وشرح وتبویب لجنة من الأساتذة. الطبعة الثالثة. ۵ج. بیروت: دارالمشرق.

الأبشیهی، شهاب الدین محمد بن أحمد أبی الفتح. ۱۹۸۶م. *المستطرف فی كل فن مستظرف*. تحقیق مفید محمد قمیحة. الطبعةالثانیة. ۲ج. بیروت: دارالكتب العلمیة.

ابن الأثیر. ۱۹۶۶م. *الكامل فی التاریخ*. ۱۲ج. بیروت: دار صادر للطباعة والنشر.

ابن سعد، محمد. لاتا. *الطبقات الكبری*. ۸ج. بیروت: دارصادر.

ابن عساكر. ۱۴۱۵ق. *تاریخ مدینة دمشق*. تحقیق علی شیری. ۷۰ج. مطبعة دارالفكر.

ابن قیس، محمد بن عبید بن سفیان. ۱۹۹۷م. *قری الضیف*. تحقیق عبدالله بن أحمد المنصور. الطبعة الأولی. الریاض: أضواء السلف.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الافریقی المصری. لاتا. *لسان العرب*. الطبعة الأولی. ۱۵ج. بیروت: دار صادر.

أبو رحاب، حسان. ۱۹۴۷م. *الغزل عند العرب*. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة مصر.

الأصفهانی، أبوالفرج. لاتا. *الأغانی*. تحقيق سمير جابر. الطبعة الثانية. ۲۴ج. بيروت: دار الفكر.

الأعشى. ۱۹۹۴م. *ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس*. شرح وقدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنا نصر الحتی. الطبعة الثانية. بيروت: دارالكتاب العربی.

الأمين، السيد محسن. لاتا. *أعيان الشيعة*. تحقيق وتخريج حسن الأمين. ۱۰ج. بيروت: دارالتعارف للمطبوعات.

البستانی، فؤاد أفرام. لاتا. *المجانی الحديثة عن مجانی الأب شيخو*. الطبعة الثانية. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

البغدادی، أحمد بن علی أبوبكر. لاتا. *تاريخ بغداد*. ۱۴ج. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجمحی، محمد بن سلام. لاتا. *طبقات فحول الشعراء*. تحقيق محمود محمد شاكر. جدة: دار المدنی.

الحسينی الكاشانی، السيد عباس. ۱۴۰۰ق. *حدائق الأنس فی نوادر العرب والفرس*. الطبعة الأولى. قم: مطبعة الخيام.

الحوفی، أحمد محمد. لاتا. *الغزل فی العصر الجاهلی*. بيروت: دارالقلم.

ـــــــــــ . ۱۹۸۰م. *المرأة فی الشعر الجاهلی*. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار النهضة للطبع والنشر.

الحلبی. ۱۴۰۰ق. *السيرة الحلبية*. ۳ج. بيروت: دارالمعرفة.

الزبيدی. ۱۹۹۴م. *تاج العروس*. ۲۰ج. بيروت: دارالفكر.

زكی صفوت، أحمد. لاتا. *جمهرة خطب العرب*. ۳ج. بيروت: المكتبة العلمية.

السجستانی، ابن الأشعث. ۱۹۹۰م. *سنن أبی داوود*. الطبعة الأولى. أخرج وراجع ووضع فهارسه مكتب الدراسات والبحوث فی دار الفكر.

السيد المرتضى. ۱۹۰۷ م. *الأمالی*. تصحيح وتعليق الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطی. الطبعةالأولى. منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشی النجفی.

شلبی، عبد المنعم عبد الرؤف. لاتا. *دیوان عنترة بن شداد*. مصر: مطبعة شركة فن الطباعة.

الشوری، مصطفی عبدالشافی. ۱۹۸۳م. *شعر الرثاء فی العصرالجاهلی*. بیروت: الدار الجامعیة للطباعة والنشر.

الضبی. لاتا. *المفضلیات*. شرح الأستاذین شاكر وهارون. مصر: مطبعة المعارف.

الطائی. لاتا. *دیوان الحاتم الطائی*. شرحه وضبط نصوصه وقدم له عمر فاروق الطباع. بیروت: شركة دار الأرقم بن أبی الأرقم.

الطبرسی، الفضل بن الحسن. ۱۳۷۹ق. مجمع *البیان فی تفسیر القرآن*. ۱۰ج. بیروت: دار الإحیاء للتراث العربی.

الطوسی، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علی. ۱۴۰۹ق. *التبیان فی تفسیر القرآن (تفسیر التبیان)*. تحقیق محمد حبیب قصیر العاملی. الطبعة الأولی. ۱۰ج. قم: مكتب الاعلام الإسلامی (الأفست من الطبعة البیروتیة).

العسكری، أبوهلال. ۱۹۸۸م. جمهرة *الأمثال*. تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم وعبد المجید قطامش. الطبعة الثانیة. بیروت: دارالفكر.

الفراهیدی، خلیل بن أحمد. ۱۴۱۴ق. *كتاب العین*. الطبعة الأولی. ۸ج. مؤسسة النشر الإسلامی.

القرشی، أبو زید محمد بن أبی طالب. ۱۹۲۶م. جمهرة *أشعار العرب*. مصر: المطبعة الرحمانیة.

القلقشندی، أحمد بن علی. ۱۹۸۷م. *صبح الأعشی فی صناعة الإنشاء*. تحقیق یوسف علی طویل. الطبعة الأولی. ۸ج. دمشق: دارالفكر.

نجیبب عطوی، علی. ۱۹۹۳م. *الخنساء بنت عمرو شاعرة الرثاء فی العصر الجاهلی*. الطبعة الأولی. بیروت: دار الكتب العلمیة.

المتقی الهندی. لاتا. *كنز العمال*. تحقیق الشیخ بكری حیانی والشیخ صفوة السقا. ۱۶ج. بیروت: مؤسسة الرسالة.

المقرم، عبدالرزاق الموسوی. ۱۳۷۲ش. *مقتل الحسین(ع) أو حدیث كربلاء*. إیران: انتشارات

شريف الرضى.

الموصلى، أبوالفتح ضياء الدين. ١٩٩٥م. *المثل السائر*. تحقِيق محمد محيى الدين عبد الحميد. ٢ج. بيروت: المكتبة العصرية.

الميدانى النيسابورى، أبوالفضل أحمد بن محمد. لاتا. *مجمع الأمثال*. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. ٢ج. بيروت: دارالمعرفة.

نورى، ميرزا حسين. لاتا. *مستدرک الوسائل*. الطبعة الأولى. ١٨ج. قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

واجدة مجيد، عبدالله الأطرقجى. ١٩٨١م. *المرأة فى أدب العصر العباسى*. الجمهورية العراقية: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.

يوسف موسى، حسين والصعيدى، عبدالفتاح. ١٤١٠ق. *الإفصاح فى فقه آللغة*. الطبعة الرابعة. ٢ج. مكتب الإعلام الإسلامى.